الأدب

الخطابة فى العصر العباسى - ٢

للاستاذ محمود البشبيشى

المدرس بدار العلوم العليا

(نشرنا فى عدد شهر يناير القسم الأول من هذا المقال القيم وها نحن ننشر القسم الثانى منه)

وإليك طائفة من خطب هذا العصر : —

١ — خطب (داود بن على بن عبد الله بن عباس) على منبر الكوفة يوم بويع أبو العباس السفاح فقال : —

الحمد لله شكرا شكرا شكرا الذى أهلك عدونا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — أيها الناس: الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها ، وانشقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه ، وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى منزعه : ورجع الحق إلى نصابه فى أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم ، والعطف عليكم ، أيها الناس : إنا والله ما خرجنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا ، ولا نحفر نهرا ، ولا نبنى قصرا ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا : والغضب لبنى عمنا ، وما كرنا من أمورهم ، وبهظنا من شؤونكم ، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ، ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم ، وخرقهم بكم ، واستذلالهم لكم ، واستئثارهم بفيئكم ومغانمكم عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فى العامة منكم والخاصة بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبا بنا لبنى حرب بن أمية وبنى مروان ، آثروا فى مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدار الفانية عن الدار الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغشوا الجرائم ، وجاروا فى سيرتهم فى العباد ، ومرحوا فى أعنة المعاصى ، وركضوا فى ميادين الغى جهلا باستدراج الله ، وأمنا لمكر الله ، فأتاهم بأس الله بيانا وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق ، فبعدا للقوم الظالمين .

ثم قال :

وأدعو الله لأمير المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان ، المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها ، بأبدال الدين وأنهاره حرم المسلمين ، الشاب المتسهل المتهل المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى

ثم قال :

يأهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا ، وأفلح بهم حجتنا ، وأظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم الخليفة من بني هاشم ، وبيض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام؛ ومن عليكم بأمام منحه العدالة وأعطاه حسن الأيالة ، فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا ، ولا تخدعوا عن أنفسكم فأن الأمر أمركم ، فأن لكل أهل بيت مهراوإنكم مهرنا . . . . .

٢ — وخطب بالمدينة المنورة سنة ١٣٢ هجرية وهي السنة التي مات فيها فقال : —

أيها الناس : حتام يهنف بكم صريخكم ؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه ؟ ، كلا! بل دان على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، أغرتكم الأمال حتى حسبتموه الأمال ؟ هيهات منكم ، وكيف بكم والسوط في كفي ، والسيف مشهور :

حتى يبيد قبيلة فقبيلة ... ويعض كل مثقف بالهام

ويقمن ربات الخدور حواسرا ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام

٣ — وخطب أبو العباس (السفاح) بالشام لما قتل مروان بن محمد فقال : —

« ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها ، وبئس القرار » نكص بكم يأهل الشام آل حرب وآل مروان يتكمون بكم الظلم ، ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطئون بكم حرم الله ، وحرم رسوله ، ماذا يقول زعماؤكم غدا ؟ يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، إذاً يقول الله عز وجل : لكل ضعف ولكن لا تعلمون ، أما أمير المؤمنين فقد اقتنع بكم التوبة ، واغتفر لكم الزلة ، وبسط لكم الأقالة ، وعاد بفضله على نقصكم ، وبحلمه على جهلكم ، فليفرخ روعكم ، ولتطمئن به داركم ، وليقلع مصارع أوائلكم ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

٤ — وخطب أبو جعفر المنصور بعد ما نكل بالامويين فقال : —

أحرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لحظه ، نظر امرؤ في يومه لغده ، قضى القصد ، وقال الفصل ، وجانب الهجر ، . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : أيها الناس إن بكم داءاً هذا دواؤه ،

وأنا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به ، فأنما بعد الوعد الانقطاع ، وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

٥ — وخطب حين خروجه إلى الشام فقال :

شنشنة أعرفها من أخزم من يلق أبطال الرجال يكلم

مهلا مهلا روايا الأرجاف ، وكهون النفاق ، عن الخوض فيما كفيتم ، والتخطي إلى ما حذرتم قبل أن تتلف نفوس ، ويقل عدد ، ويذل عز ، وما أنتم وذاك ! ألم تجدوا ماوعد ربكم من إيراث المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها حقا ؟ والحجر الحجر ، ولكن خب كامن ، وحسد ممكن ، فيمدا للقوم الظالمين .

٦ — وخطب يوم جمعة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس : اتقوا الله — فقام إليه رجل فقال : أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين ، قال أبو جعفر : سمعا سمعا لمن فهم عن الله ، وذكر به ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأناسه ، فتأخذني العزة بالإثم ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، وأما أنت (والتفت إلى الرجل) فوالله ما الله أردت بها ، ولكن ليقال : ثم قال فموقب فصبر ، وأعوذ بها لو كانت العقوبة ، وأنا أنذركم أيها الناس أختها ، فإن الموعظة علينا نزلت ، وفينا انبثت . ثم استأنف خطبة الجمعة .

٧ — وخطب بالمدائن بعد ما قتل (أبا مسلم الخراساني) فقال :

أيها الناس : لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تمروا غش الأئمة فإنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظاهرت في آثار يده ، أو فلتات لسانه ، وأبداها الله لإمامه بأعزاز دينه ، وإعلاء حقه ، إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخس الدين حقه ، إن من نازعنا عروة هذا القميص أجززناه خيره هذا العمد ، وإن أبا مسلم بايعنا ، وبايع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ، ثم نكث بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره ، ولم تمنعنا رعاية الحق له ، من إقامة الحق عليه

٨ — وخطب الناس بمكة فقال :

أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأييده ، وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه (المال) بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلا ، إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، وإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول : «اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» ، أن يوفقني للرشاد والصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان

إليكم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

٩ — وخطب سليمان بن على (عم السفاح) وأخو (داود بن على) فقال : —

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين » قضاء مبرم ، وقول فصل ، وماهو بالهزل ، الحمد لله الذى صدق عبده ، وأنجز وعده ، وبعدا للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضا ، والنبى وارثا ، والدين هزوا ، وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ماكانوا به يستهزئون ، فكأين ترى من بئر معطلة ، وقصر مشيد ، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ، أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب : واضطهدوا العترة ، ونبذوا السنة ، واعتدوا واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ، ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟ اهـ .

وهنا يجدر أن أشير الى أن (سليمان بن على) كان من أولى المروءة ، الذين خففوا من حدة السفاح وحقنوا دماء من أبقاهم السيف من بنى أمية ، فقد لاذ به أحد بنى أمية لملاطفات عليهم عارحبت ، فقال له (لقطتنى البلاد إليك ، ودانى فضلك عليك ، فأما قتلتى فاسترحت ، وإما رددتنى سالما فأمنت) قال سليمان : فمن أنت ؟ فعرفه بنفسه ، فقال سليمان : مرحبا بك ، ماحاجتك؟ قال الأموى (إن الحرم الاوانى أنت أولى الناس بهن ، وأقربهم إليهن ، فدخفن لحوقنا ومن خاف خيف عليه !) فبكى سليمان وقال يحفظ الله دمك ، ويوفر مالك ، ويحفظ حرمك ثم كتب الى السفاح فى تأمين بنى أمية فأجابه الى ماسأل .

١٠ — وخطب (صالح بن على) أخو (داود بن على) فقال :

ياأعضاد النفاق ، وعبيد الضلالة : أغركم لين أساس ، وطول إيناس ؟ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لقلول حد ، وفتور جد ، وخور قناة ، كذبت الظنون ، إنها العترة بعصها من بعض فاذا قد استوليتم العافية فمندى قطام وفكاك : وسيف يقد الهام ، ولبى أقول :

أغركم أنى بأكرم شيمه رفيق وأنى بالفواحش أفرق
ومثلى إذا لم يحز أحسن سعيه تكلم نعماه بفيها فتنطق
لعمرى لقد ماحشتنى فظلمتنى هنيئا مريئا أنت بالمحض أرفق

١١ — وخطب ابنه (عبد الملك بن صالح) فقال : —

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ؟ »

يأهل الشام : وإن الله رصف إخوانكم فى الدين وأصباعكم فى الأجسام فحذرهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) فقاتلكم الله أنى تصرفون ؟ جنت ماثلة ، وقلوب طائرة ، تشيون الفتن ، وتولون الدبر ، إلا عن حرم الله كأنه دريئتكم ، وحرم رسوله فأنه معزاكم ، أما وحرمة النبى والخلافة لتنقرن خفافا وثقالا ، ولأوسعنكم إرقاما ونكالا .

هكذا نجد خطب الصدور من بني العباس تفيض بلاغة ، وقوة وبيانا وانسجاما ، فلما استقرت لهم الأمور ، هدأت فيهم هذه الحدة ، وجنحوا إلى الوعظ والتبصرة ، فيما يزاولون من خطب دينية في الجمع والأعياد ، نجد كثيرا من خطبهم في العقد الفريد والطبري ، وإليك خطبة للمأمون في يوم جمعة ،

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى ، بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا فقد حدثكم ، واستعدوا للموت فقد أظلكم وكونوا كقوم صيح فيهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستدلوا ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ، ولم يتركم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها اللحظة ، وتهدمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة ، وإن غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الأوبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة ، لمستحق لأفضل العدة ، فاتقى عبد ربه فنصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وإنه خادع له ، والشيطان موكل به ، يزين له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، فيالها حسرة على كل ذي غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، وتؤديه منيته إلى شقوة ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر عن طاعة ربه غفلة ، ولا يحل بعد الموت فزعه ، إنه سميع الدعاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، فعال لما يريد) على — هذا النسق سارت الخطب في صدر الدولة العباسية من جزالة اللفظ ، ومتانة العبارة ، وقلة التعويل على السجع ، إلا ما جاء عفوا ، فكان خلوا من أثر الصنعة والتكلف ، فانظر الآن خطبة من خطب العصر الثاني لتعرف الفرق الشاسع بين الكلامين ،

لما أسترد صلاح الدين الأيوبي القدس من يد الصليبيين لثلاث بقين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية تطاول إلى الخطابة في أول جمعة للقدس كل ذي شأن من العلماء ، فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين المعروف بابن زكي الدين الدمشقي الشافعي ، فصعد المنبر لخطبة الجمعة ، وخطب القوم وفيهم السلطان وأعيان دولته فاستفتح بسورة الفاتحة ثم قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، ثم قرأ أول سورة الأنعام (الحمد لله خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) ثم قرأ من سورة — الإسراء — (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ... الآية)

ثم قرأ ثلاث آيات من سورة (الكهف) ثم قرأ من سورة النمل (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .. الآية) ثم قرأ من سورة (سبأ) (الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض.. الآية) ثم قرأ من سورة (فاطر) الحمد لله فاطر السموات والأرض ... الآية) وكان بقصد أن يقرأ جميع التحميدات في القرآن الكريم، ثم شرع في الخطبة فقال :

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومبيد الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكفار بمكره، الذي قدر الأيام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر ما شاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فما يدافع، أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره بيد من استشهر الحمد بأطهر سره وظاهر جهاده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد ... ثم قال: أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة، من الأمة الضالة، وردها الى مقرها من الإسلام، بعد ما بتذا لها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بني عليه. وشيد بنيانه بالتمجيد. فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه. فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام. وقبلتكم التي كنتم تصلون فيها في ابتداء الإسلام. — ثم قال : — فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية والرقيات البدنية والغزوات الصديقية والفتوحات العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية، جددتم الإسلام أيام القادسية، والملاحم اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به من إهراق الدماء، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء، فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة قدرها، وقوموا لله بواجب شكرها.

ثم قال : —

اذكروا الله يذكركم ويشكركم، جدوا في حسم الداء، وقلع شأفة الأعداء، وطهروا الأرض من هذه الأنجاس، التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله

ثم قال.

واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، وغنيمة فحوزوها، ومهمة فأخرجوا لها همكم وابرزوها. . الخ

عام ١٩٣٥

كتاب القدر، وسجل العبر، أبوابه أحداث، وفصوله غير ....

فرقان الزمان، أنزله الملك الديان، سوره عظم الشان، وآياته البقاء لله « وكل من عليها فان » ... رسالة السماء، عمت السوقة والعلياء، فأذا الكل أمامها سواء ...

ساعة تفصل الدهور، وتحدد السنين والشهور، عقرباها الليل والنهار، ودقاتها إيذان بكشف الستار، فأذا الغيب واقع، ليس له من دافع !! .

هذه عيون تكتحل بالنور، ونفوس تتمتع بالحبور، وتمرح فى فضاء يفيض بالسرور...

وتلك قلوب تتقد نارا، وتنشج الذل شعارا، وتتخذ من الظلام دثارا . . . لا يقضون من دنياهم أوطارا، ولا يجدون لهم منها أنصارا !! ... حياتهم شرور، وحقهم منكور، ونقيبهم موزور !! ...

***

والغيب يا عام بحر زاخر، وقضاء صائر ... ملك يقتعد كرسيا من النور، أو ملك يقوم عرشه على الجؤر !! .. مرة تتربا بالعفاف، وأخرى يلذ لك الأسفاف !! ... زهور تفوح، ونبت يصوح ... بكاء وعويل، وشدو وهديل ... قدر نازل، وملك زائل !! قرن تفوت، وعيش ممقوت !! ... حياة تستفاد، وأخرى للنفاد !! ... غامر يصل إلى الصدور، وغابر يعمر القبور !!... نجوم سواطع، وناثرات فواجع، وجنوب تحفوها مضاجع !! ...

نعم تهبها جنة ونورا، وتقم تلهبها نارا وحرورا !! .. طيف لطيف، أو شبح مخيف ترجف الراجفة، فترسل الريح عاصفة، والبروق خاطفة ....

فأذا الصدور خائفة، والقلوب واجفة !! ...

وإذا قصور منسوفة، ودماء مترفة، ودموع مذروفة

والغيب يا عام بحر زاخر، وقضاء صائر ...

حر وبرد، وشوك وورد، عداء وسلم، وغضب وحلم !! ...

ستخالف وتحالف، وتخاصم وتوالف، وتباعد وتقارب، وتهادن وتحارب !!!! ...

ستكثر الوعيد، وتلوح بالتهديد، وتكدر الطباع، وتغير الأوضاع، وتستنسخ أحكام الشراع !!!! ..

مروع صموت، وجهورى فى خفوت، تنفذ أحكامك بالوقائع، إذ ينفذ غيرك أحكامه بالقوانين والشرائع !! .

والغيب ياعام بحر زاخر ، وقضاء صائر ...

قبلة الآمال ، ومحط همم الرجال ، وموعد رجوات تنال !! ...

عز وإقبال ، وشقاء وإضلال ، وعطاء بالمين وحرمان بالشمال !! ... تارة تطعم العسل ، وطورا تلفظ الأسل !! ...

تخرب الديار ، وتذل العزة وتخذل الأنصار !! ...

فقول الآباء ، وتسلب التركة الأبناء ، تحجبهم وأنت الوارث ، وتنقلها من حارث إلى حارث !! ....

فتنعم على قوم بأنسك ، وتفتح لآخرين فوهة رمسك !! ...

والغيب ياعام سوق جامع ، والناس فيه سلع وبضائع : منك المشترى ومنك البائع !! .

« وبعـــد » فكأنى بك ياعام ، وقد جلست على منصة الأيام ، وتأهبت لإصدار الأحكام !! ...

وكأنى بالآذان وهى إليك مرهفة ، والنفوس متشوفة ! والآمال مشرفة ...

إذن فارجع ياعام إلى الماضى وابعث مقبوره ، وافتح كتابه واقرأ مسطوره ، وقلب أثره بطويه ومنشوره ...

سترى ياعام كم استبد الحكم ، وكم هزئ بالعدل وابتسم ، وكم مكن له الظلم فانتقم ، وكم تطاولت يد العابث واجترم !!! ...

تسلل الطغيان إلى الوحدة فمزق الآلاف ، وإلى الجماعة فشتت شمل الآلاف ، وغاض مورد الوفاء ، « وقل الصدق وانقطع الرجاء .... »

طغى الحكم ياعام فجرف السدود ، وتعدى الحدود ، وسخر الناس لسلطانه ، ولوح لهم بهبله وهيلمانه .

وانتشر الشياطين يفشون الجمع ، ويسترقون السمع ، وخلف القوم بين محروم يتألم ، ومهضوم يتظلم ، ومظلوم لايتكلم !!! ...

واستمان الطغيان ياعام بخيله ورجله ، حتى سالت الدماء البريئة من نصله ....

فكنت لاترى إلا جنودا محشورة ، وسيوفا مشهورة ، وأخا فى الوطن مقتولا ، ودماظاهرا فى الميدان مطلولا !!! ...

وناصت يد الطاغية ياعام ، فملكت الناس بالأعراف فى بلدها ، كما أحالتهم أنصارا لجورها .

... ناصرته شهوة الأخصاء ، وعاونته غفلة الدهماء ، فرد أهواء الناس إلى هواه ، وشورى العقول إلى مايراه ، وحدود القوانين إلى قانونه ، ودين الجماعة إلى دينه !!! ....

حتى قامت القوى على الفرد فحكم طاغوته ، وزاد السلطان فتألّه وفرض جبروته !! . .

وعطل الطغيان يا عام سماحة الشريعة ، وأفسح للقطيعة ، ومات الكرم وحيت الوقيعة !!

وفسدت المقاييس ، وانبثت الجواسيس ، وتبجح الغرور ، وعلى أنقاض الحق قام هيكل الزور !! . .

ولا تسأل يا عام عن حدود الله كيف باتت طوامس ، وعن صروح العدل كيف غدت أطلالا دوارس ، وعن حرية القوم كيف تتهدد ، وعن نظام الأمور كيف يتبدد !! . .

وهكذا الطغيان يا عام يغير الفطرة ، ويمسخ الفكرة !!...

ومثل هذا وأشباهه أوقع الانسان بأخيه ، وزرت بالشر نوازيه ، وصل إلى الخير هاديه !!

* * *

ألا إن لكل ثائرة خمودا ، ولكل عاصفة ركودا ، وإن الجزر نهاية ، المد وإن الارخاء يعقبه الشد !!! . .

ألا إن الظلم غايته النفاد : وإن الدهر أمهر صياد ، اوثقت على الطاغي الشبكة ، وأوردته حريرته مورد الهلكة !! . . . .

تقطعت به الأسباب ، وكل منه الظفر والناب ، وعاد مخضب الجبين بدم الآجرام ، مسود الصفحة بدم الآثام !! . . . .

غرته كثرة الأنصار : « إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » . . . .

* * *

وكأني بك يا عام ، وقد تحركت في قلبك بواعث الرحمة ، وثارت فيك كوامن الحقد على الظلمة . . . فيجري لسانك بالتعزية ، ويتدفق منطقك بالتسلية ، تضمد الجروح ، وتسكن القروح . . .

إذن فهؤلاء قوم كادت لهم الأيام ، وأعملت فيهم أيدي الطغام ، ما شاء لها الهوى والانتقام !! . . .

إليك يا عام سجل المآثر ، تجد فيه يا عام نظرات سواخر ، تنبعث شرراً من عيون الفواجر !! . . .

ثم إليك يا عام حظوظنا عواثر ، يرسلها البؤس هواثر ، فتساقط من لهيب المحاجر !!...

وإليك يا عام حياة منكوسة ، وجدوداً منحوسة ، وعيشة بئيسة

وستقر يا عام كم تفجرت في الوجوه أهوال ، واغبرت في العيون آمال ، فلا تسمع إلا أنات العاني ، والتأوهات يرددها القاصي والداني ، لا يستقر لهم جنان من الروع ، ولا يطمئن بهم مجلس من الجزع !! . . .

وكلما اشتدت العاصفة ، ونكبات بهم يد الجبرية الخاسفة ، عصموا النفوس بالاصطبار ، وطووا البطون على القفار ، يرتقبون زوال ليل النفاق ، وفجر البشائر ينبثق فى الآفاق

فهلا أعددت لهم من السلوى ، ما يخفف عن نفوسهم البلوى ؟؟!! . . .

وهل كتبت لهم الأبلال بعد الاشقاء ، والراحة بعد الأعياء ؟؟!! . . .

* * *

الآن قد استفاق العدل من رقدته ، واستيقظ الحق من غفوته . . .

وهب على القوم نسيم رفيق ، وآن للدهر أن يكتب لهم التوفيق . . . .

وبدد الهلال يا عام ظلمة السماء ، فطهر الأجواء ، وانقشعت الغيوم ، وانجلى الليل الظلوم !! . . .

فحنانيك يا عام ، لقد قاسى القوم مرارة الألم ، وطعموا السم فى الدسم !! . . .

فلا تطرحنا جانبا ، ولا تنأ عنا مغاضبا . . . .

ضمة إليك تبرىء العل من صدرنا ، ونفحة من نعمائك تخفف من حرنا . . . .

وعناية منك بأمرنا ، تجبر من كسرنا . . . .

واذكر يا عام أن أيامنا صررة من يوم النشور ، وليالينا أسود من حلك القبور !! . .

أظلمت فى وجوهنا الحياة ، وفررنا من حظنا المنكود فلم تدرك النجاة ، ولفت علينا الارض بالارض ، وأزلت علينا « ظلمات بعضها فوق بعض » !!! . . . .

* * *

يا أمير الشاعرية ، وشاعر اللاهوتية : بحقك رتل قصيدة النعيم السرمدية . . . .

يا أستاذ الموسيقية : غن لحن الحب على أوتار الأبدية ، فسيفعل القيثار بالنفوس ، مالا يفعل الخمار بالرءوس . . . . .

يا جامعاً هوى المتاعب . كدنا الجهد الناصب ، وأرهقنا العيش الواصب . . .

يا كعبة الآمال : أفسح لمعدنا المجال ، وقرب منا نازح المنال . . . .

يا معقد الرجاء : أرخ الستر عن وجهك الوضاء ، وغرد انشودة الرخاء . . . .

ويا طبيب الحقب : نشكو إليك العطب ، فتش تجده السبب ، وحرارة إقلال ذات لهب !! . . . .

علة مزمنة ، وما هو الدواء فى الايدى المحسنة . . . . ؟

حمزة عزيز غريب
سكرتير عام نقابة البحيرة
وناظر مدرسة دمنهور — إدفينا

وحدات جديدة فى دار الكتب

بقلم الدكتور زكى محمد حسن

يشتغل الموظفون الفنيون فى دار الكتب المصرية بترتيب فهرست وحدات جديدة ومكتبات مهمة عادة أضيفت إلى خزائن الدار فزادت ثروتها الأدبية خدمة الباحثين وطلاب العلم فى فروع الأدب القديم والشرع بنوع أخص .

مكتبة قوله : وأهم هذه الوحدات المضافة « مكتبة قوله » وهى من آثار المرحوم محمد على باشا رأس الأسرة العلوية أنشأها فى مدينة قوله (مسقط رأسه) ووقفها على أهل العلم وعنى بأمرها الخديوى وأمراء البيت الخديوى فزودوها بكثير من الكتب النفيسة النادرة .

وكان للخديوى السابق عباس حلمى باشا عناية بها . فأرسل إليها مجموعات قيمة من الكتب المطبوعة . وبقيت هذه المكتبة فى قوله ، حتى أصبحت هذه المدينة بعد الحرب من نصيب اليونان ورأوا أن لا فائدة لهم من مكتبتها . فقدموها هدية إلى صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . وأرسلوها إلى مصر فى خزائنها الأصلية وعددها عشر خزائن . فتكرم جلالته بتقديمها إلى دار الكتب المصرية ويبلغ عدد ما فيها من الكتب ٣٤٠٠ مجلد ، منها ٢٦٠٠ مجلد عربى والباقى تركى وفارسى . وثلث الكتب مخطوط والثلثان مطبوع .

وتعد المخطوطات من الطرف الفنية النفيسة فى كتابتها وتذهيبها وتجليدها . ويكفى فى وصفها أن يقال إنها من مقتنيات الملوك وهداياهم .

وتعد المكتبة « شرعية » إذ يكثر فيها كتب التفسير والحديث وفقه أبى حنيفة . كما أن فيها جزءا كبيرا من كتب النحو والصرف .

ومعظم كتب الشرع تركى . وإمضاء عربى . منه كتب لا تزال غير كاملة فى دار الكتب المصرية مثل كتاب « الجامع الكبير » للسيوطى فى الحديث ، وكتاب « المحيط » لنظام الدين النيسابورى من علماء المئة الثامنة للهجرة .

ومن المخطوطات الثمينة « الكتب الستة » وهى البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه فى مجلد . والفتاوى التتارخانية فى فقه أبى حنيفة فى مجلد واحد كذلك .

وقد تم وضع الفهرست الأبجدى للكتب العربية فى هذه المكتبة بحسب الفنون وفهرست آخر بأسماء المؤلفين . وسيكون لكل من الكتب التركية والكتب الفارسية فهرست

خاص لم يشرع فى وضعه بعد .

وقد وضعت الخزائن العشر الحاوية «مكتبه قوله» فى قاعة المعرض لحين إيجاد محل خاص لها

مكتبة طلعت بك: تعد مكتبة المرحوم أحمد بك طلعت من أنفس وأكبر المجموعات التى ضمت إلى دار الكتب المصرية منذ نشأتها .

عنى بجمعها المرحوم أحمد بك طلعت ، وكان فى نيته أن يقيم لها داراً خاصا فى حى السيدة لنفع الجمهور ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يتم أمنيته أو يقيدها فى وصيته .

وبعد وفاته وهبت إحدى أخواته قيمة ما يخصها منها وهى الربع إلى صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . فتنازل جلالته عن هذا الربع إلى وزارة المعارف .

وقدرت قيمة المكتبة بعشرة آلاف جنيه منها ٢٥٠٠ قيمة الربع الذى وهب إلى صاحب الجلالة الملك و ٧٥٠٠ جنيه دفعتها وزارة المعارف للورثة .

ثم عهدت الوزارة إلى مديرى دار الكتب المصرية ومكتبة الجامعة فى أن يختار كل منهما ما يروقه من هذه المكتبة فاختارت دار الكتب ٢٥ ألف مجلد ، واختارت مكتبة الجامعة ١٢ ألف مجلد .

ووزع الباقى على مكتبات المجالس البلدية فى الاسكندرية ودمنهور وشبين والزقازيق وبنى سويف .

ولا يزال نصيب دار الكتب من هذه المكتبة فى صناديقه الخاصة لم يقيد فى الفهارس أو يرتب .

مكتبة خليل أغا: أنشأها المرحوم خليل أغا (رئيس الخصيان فى دائرة والدة الخديو اسماعيل) وجمع فيها نحو ألف مجلد منها نحو ٨٠٠ كتاب عربى والباقى تركى ، جلها فى الشرع واللغة . وكانت مودعة فى مدرسته بالدراسة فلما هدمت المدرسة لمناسبة توسيع الحى الحسينى . وشيدت مدرسة بدلها فى شارع الأمير فاروق ، أصدر جلالة الملك فؤاد أمره بنقل مكتبة الباش أغا إلى دار الكتب المصرية .. وهى الآن فى صناديقها ولم توضع الفهارس اللازمة لها .

مكتبة أبى خطوة: كان المرحوم الشيخ أبو خطوة من علماء الأزهر وكبار القضاة الشرعيين وقد جمع فى مكتبته حوالى ٦٠٠ مجلد فى علوم الشرع واللغة . أهداها نجله الدكتور حسن أبو خطوة لتحفظ فى دار الكتب تذكاراً للمرحوم والده ..

أين توضع هذه المكتبات؟ وسيكون لكل واحدة من هذه المكتبات وحدة تأخذ بذائها معروفة باسم صاحبها تشجيعا لغيرهم على إهداء المكتبات إلى دار الكتب . ولكن أين توضع هذه المكتبات وما ينتظر أن يضاف إليها فى الحاضر والمستقبل ؟

لقد ضاقت دار الكتب وأصبحت تنوء بما فيها من الخزائن والرفوف . وكتب السير (فيبيت) مدير دار الآثار العربية (وهى فى الدور الأرضى لعمارة دار الكتب) إلى ولاة الأمر فى وزارتى الأوقاف والمعارف يشكو من هذه الحال ويقول انه يخشى هبوط دار الكتب على دار الآثار ويطلب إما أن تخصص الدار كلها للكتب أو الآثار لضيق مكان كل منهما بما يضاف إليه من المقتنيات الجديدة ..

وقد وافقه على ذلك مدير دار الكتب وكبار الموظفين القنيين فيها . ولا جدال فى أن الحال أصبحت تستدعى تنفيذ هذا الرأى الحكيم

صحافى عجوز

لحضرات المشتركين

بناء على قرار الجمعية العمومية للاتحاد سيوقف إرسال المجلة لكل مشترك لم يسدد اشتراك السنة الأولى أو القسط الأول من السنة الثانية إن كان مستجداً .

وتحفظ أعداد « العدد الثالث » بالإدارة لمن يطلبها بعد السداد توطئة لطبع العدد السابع بقدر عدد المشتركين المسددين فعلا .

وذلك حرصاً على مال الصحيفة وتمكيناً لها من النهوض بعبئها

(الإدارة)